إلى مَنْ تَنْتَمِي

طَائِفَةُ البُهْرَة

تأليف

مَحْمُودْ مُحَمَّدْ الحَامِدْ

دار الفتح
للدراسات والنشر

إلى من تنتمي

طائفة البهرة

إلى من تنتمي : طائفة البهرة
تأليف : محمود محمد الحامد
الطبعة الأولى : 1433هـ - 2012م
جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد©
قياس القطع : 14 x 20
الرقم المعياري الدولي : ISBN : 978-9957-23-214-6
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2011/3/847)

دار الفتح للدراسات والنشر
هاتف: 4646199 6 (00962)
جوال: 799038058 (00962)
ص. ب: 183479 عمان 11118 الأردن
البريد الإلكتروني: info@daralfath.com
الموقع على الشبكة الإلكترونية: www.daralfath.com

الدراسات المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing from the publisher.

بسم الله
الرحمن
الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد ورث المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين المشار إليهم في الحديث الشريف: «... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[1]. ورثوا العلم والعمل، والحال والقال، والدولة والسلطان، فكان جيل الصحابة خير جيل أُخرج للناس، حتى جاء زمن الملك العضوض، المشار إليه في الحديث الصحيح: «الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم مُلْكٌ بعد ذلك»[2]. بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية رضي الله عنه حيث اكتمل ثلاثون سنة.

فبدأ القرآن يفترق عن السلطان ـ افتراقاً نسبياً ـ وبدأت الأمور

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٩٩١)، والترمذي برقم (٢٦٠٠) انظر: الأربعين النووية.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٠٩١٠)، والترمذي برقم(٢١٥٢)، وأبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه: الجامع الصغير للسيوطي.

تتشعب بالمسلمين، بل بدأت من زمن التحكيم الذي أعقب حرب صفين، حيث أعلن الخوارج انشقاقهم عن جسد الأمة، ثم مرق نجمُ التشيع، استغلالاً لـمن أحب آل البيت ـ وكلنا لهم حبٌّ ـ بمراودة أعداء الله تعالى لهم، بإدخال الأفكار الغريبة عن نهج الإسلام، حتى أصبحوا فِرَقاً حادت عن الجادَّة، وانحرفت عن السبيل القويم، وانزلقت في مهاوي الضلال، وتفرقت عن السواد الأعظم، والجمهرة المكلوءة بعين الله تعالى ورعايته، إلى يوم الدين، كما ذكر الحديث الصحيح: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[1].

وهكذا نرى أن جسد الأمة الإسلامية، السائرة على الحق قد ناهز ثلاثة مليارات، في أيامنا هذه، بينما كان سائر الفرق إما مندثراً كالمرجئة والجهمية، أو لا يزيد على بضعة ملايين، كالخوارج في عُمان، والصحراء الجزائرية الشرقية، إلا الشيعة الإمامية، الاثني عشرية فإنها لا تبلغ أربعين مليوناً في العالم كله.

ويبقى التجمع الإسلامي لأهل السنَّة والجماعة أعظم تجمع ديني ومذهبي في سائر أنحاء الأرض، وقد ذكرت هذا في كتابي «هل ألقى المسلمون المرساة».

---

(١) رواه الأربعة: الجامع الصغير.

وهذه العجالة قسمات، غبرتْ شواردها على بَداء، في تشخيص لون من ألوان الباطنية، التي اتحد أُسُّها، واجتزأ ضرامها، يتلوَّن كالحرباء، ويتلوَّى كالرقطاء، على تتابع الزمان، وتعدد المكان؛ تدافعت طِلبتها إثر نشاط لهم، في الإمارات العربية المتحدة، على المستوى الرسمي، يَخلطون عليهم زوراً أنهم مسلمون، وما هم به، فعسى أن يُدرك القارئ أن هؤلاء الذين يطلق عليه البهرة، ونصيرية الشام، الذين تسمَّوا بالعلويين بهتاناً ـ سواء، ولعلها تفتح طريقاً لدراسات أوسع، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

١/ من المحرم/ ١٤٢٩هـ — محمود محمد الحامد

٢٠/ ١/ ٢٠٠٨م.

البُهْرة ليسوا مسلمين

إن طائفة البهرة فرقة من الشيعة الإسماعيلية الباطنية الملحدة، والفكرة الباطنية عندهم تعني أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً[١]، وأن لنصوص الشريعة باطناً، يوافق مُدَّعاهم، وظاهراً معدولاً عنه، بافتراء كاذب، وزعم باطل، وهو قاسم مشترك، بين غلاة الشيعة جميعاً، وسنأتي على ذكرهم.

غايته ضرب الإسلام من جذوره:

وادعاؤهم أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن المراد منه باطنه دون ظاهره، غايتـه ضرب الإسـلام من جذوره، والقضاء على مفاهيم النصوص.

قد تذرعوا لأكاذيبهم بكلام الفلاسفة:

ثم إنهم إمعاناً في ضلالاتهم قد تذرعوا لما اختلقوا من أكاذيب، بما نطقت به ألسنة الفلاسفة، من أوهام، ونُزَّهات وحشْرَجات، وانظر

---

(١) الملل والنحل (١: ١٩٢)، وانظر: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للخفاجي، وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري، (٤: ٤٩٩).

ما قاله الشُّهرسْتاني: «ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج»[١].

(١) الملل والنحل (١: ٩٢،٩٣).

التأويل الحق فرقاً بينه وبين التأويل الباطل

درج علماء التفسير أن يثبتوا في مقدمات كُتبهم تعريفاً لكل من التفسير والتأويل، وهل هما بمعنى؟ أو ثمة فروق بينهما؟ وإن كان المآل واحداً، من حيث إن كلاً منهما يفضي إلى بيان معاني القرآن العظيم، ومراداته ودلالاته، التي من أجلها أنزل هداية للناس وتشريعاً ورحمة.

ولذا فإني أنقل بعض ما أثبتوه في هذا المقام، لأفضي إلى المقصود.

قال في «لباب التأويل في معاني التنزيل»:

«التفسير: أصله في اللغة من الفَسْر، وهو كشف ما غُطِّيَ، وهو بيان المعاني المعقولة، فكلُّ ما يُعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير، أو هو فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها.

والتأويل: اشتقاقه من الأَوْل، وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: أوَّلته، فآلَ، أي: صرفْته فانصرفَ، وهو ردُّ الشيء إلى الغاية، والمراد منه: بيان غايته المقصودة منه، فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية.

والفرق بين التفسير والتأويل: أن التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح»[١] انتهى.

فقد أبان هنا فارقاً بينهما أن التفسير ـ وإن كان بياناً وكشفاً لمعاني القرآن ـ هو متوقف على النقل، بخلاف التأويل فإن مبناه على الفهم الصحيح، والفهم الصحيح هو الذي يعتمد السياق والسباق، ويراعي المعنى المتبادر، الذي يتعاطاه النص، على ما جاءت به لغة العرب.

وعرف الألوسي التفسير: «بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك لمعرفة النسخ وسبب النزول، وقصة تُوضح ما أبهم في القرآن ونحو ذلك.

والتأويل: من الأَوْل. وهو الرجوع»[٢] انتهى.

ثم عدَّد وجوه الفرق بين التفسير والتأويل، حسبما يراه بعضهم.

ثم رأى أن التفريق بينهما إما أن يكون بحسب العُرف، أو بحسب ما يدل عليه اللفظ، فقال فيما يتعلق بالأخير: «وإن كان المرادُ

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن. من مجمع التفاسير (١: ١٤، ١٥). بحذف وتصرف يسير.

(٢) روح المعاني (١: ٤).

الفرقَ بينهما، بحسب ما يدل عليه اللفظ، مطابقةً، فلا أراك ترضى إلا أن في كل كشف إرجاعاً، وفي كل إرجاع كشفاً فافهم»[١] انتهى.

وهذا يعني أنه احدوْدَب بوضوح على إثبات عدم الفرق بينهما عند التزمُّل لمعرفة المعنى المراد.

وعرَّف في «مناهل العرفان» التفسير اصطلاحاً بأنه: «علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية»[٢] انتهى.

ثم ذكر للتأويل وجوهاً، منها: أنه مُرادف للتفسير.

وهكذا فإن ما يفهم من جملة هذه التعريفات موافق لمقصودنا، من تحرير هذا البيان؛ فالمراد منه إعمال النظر في استنباط المعاني، والوقوف على مدلولات النص بالشكل الصحيح، المعتمد على القواعد السليمة.

وعلى هذا فليس من غرضنا أن ندخل في وجوه التفريق بين اصطلاحي التفسير والتأويل عند العلمـاء، إذ ليس هذا دأب هؤلاء الباطنية المارقين.

وإنما كل غرضهم أن يخرجوا عن مدلولات نصوص القرآن، إلى معان غريبة عن مراداته، ناقضة لمدلولاته، مناهضة لإفاداته، ثم

---

(١) روح المعاني (١: ٥).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، (١: ٣).

إلصاقها به زوراً وبهتاناً وافتراء، بادعاء أنها معانٍ، تبطَّنت بها الألفاظ والتراكيب.

وأنى لهم بذلك، غير التمحُّل الكِذاب، إلا أن يوصف العدو بالصديق، وينضب من الأزهار كل رحيق.

ولهذا فقد استبان غرضنا في هذه القسيمة: ألَّا علاقة أبداً، ولا صلة البتة، بأي شكل من الأشكال، ولا وجه من الوجوه، بين تفسير القرآن وتأويله، وبين أكاذيب الباطنية ومفترياتها، مما يُسمونه تأويلاً.

الباطنية أكفر من اليهود والنصارى:

والغلاة الباطنية بسائر فرقهم أكفر من اليهود والنصارى، بل قد اعتبرهم عبد القاهر البغدادي أعظم ضرراً من سائر ملل الكفر، فقال في كتابه « الفَرْق بين الفِرَق»:

«اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى، والمجوس عليهم، بل أعظم مضرَّة من الدَّهرية، وسائر أصناف الكفرة عليهم»[١].

خيوط الباطنية الأولى:

تتردَّد الخثائر الأولى لخيوط الباطنية النَّسبية إلى أبناء مجوس، إذ

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٢٦٥.

فقدوا سلطانهم بزوال الامبراطورية الفارسية واندحار الديانة المجوسية، هذا من حيث النَّسب، وأما من حيث الفكر فهي ترداد لما ورد في المجوسية مع تغيير الأسماء، وتطوير المسار بما يناسب، بعد اكتساح الإسلام لبلادهم ومعاقلهم الفكرية، ثم هم تأوَّلوا النصوص القرآنية والحديثية بما يُضارع تلك الأفكار[١].

ونهلت من المذاهب الأخرى:

هذا وإن مذاهب الغلاة جميعاً ـ ومنهم الباطنية ـ قد نهلوا من المذاهب الأخرى، غير المجوسية، كالبراهمة والصابئة واليهود والنصارى.

* * *

(١) الفرق بين الفرق، ص٢٦٩.

البهرة بين سائر الفِرق والمذاهب

ليست البهرة دَرْباً عاصفاً ذا بالٍ، بين سائر الفرق، بل إن كثيراً من المسلمين وغير المسلمين لا يكادون يسمعون عنها، أو يعرفون ـ إن سمعوا عنها ـ شيئاً.

أتت عليها سنة الله عزَّ وجل في خلقه:

ذلك أنها دَرَست لِدُروس أصولها قبلها، إلا نزراً يسيراً، وأتت عليها سُنة الله عزَّ وجل في خلقه، قَبْلاً وبَعْداً، فيما يُعاضِد في إثبات صدق قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقوله أيضاً: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

لم يعد لها وجود الآن:

فلكم غبر قبلها فِرق ذات سطوة وتمكين، ثم لم يعد لها وجود الآن.

إلا في بطون الكتب، تُذكر ـ على ما فيها من عوج ـ تأريخاً أو تأريثاً للرد والتفنيد.

فهذه المعتزلة التي كانت أقوى هذه الفرق في عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس: المأمون والمعتصم والواثق. لم يبق لها على وجه الأرض من ورثها تسلسلاً غير منقطع السند إليها، حتى مضت وكأنْ لم تكن.

أين هي من ثقة السواد الأعظم:

وربما بقي لفرق أخرى ـ تُعدُّ بالأصابع ـ وجود، بسوى أنها لم تنل ثقة السواد الأعظم من المسلمين ـ كما ذكرنا في المقدمة ـ كالشيعة الاثني عشرية والأباضية من الخوارج، وكالإسماعيلية والدروز والنصيرية من الباطنية.

وبقيت عامة المسلمين في سائر الأعصار والأمصار تدين بمذهب أهل السنَّة والجماعة، مصداقاً للحديث: «ما أنا عليه وأصحابي» فالصحابة ومن تبعهم على نهجهم هم الفرقة الناجية.

وهكذا ذَرِبت البهرة على هذا الجَدَد، فطفقت تنوس بين الضَّعة والمهانة والغموض.

لم يكن مذهبها مستفيضاً:

كما لم يكن مذهبها مستفيضاً بين المذاهب، حتى قبل انقراض

أصولها من العُبيديين. ولم تنل حظها من الانتشار، بين رعايا الدولة العُبيدية في مصر والشام والحجاز والمغرب، إذ كانوا ـ وما يزالون كما هو ظاهر ـ على مذهب أهل السنَّة والجماعة.

هذا فضلاً عما لَحِق مذهبها من الضمور بعد انقراض دولتهم، وتطرُّق الفناء إلى وسطهم، إثر تنقُّلهم في البلاد.

قد تغيرت بعض السيماء:

على حين قد ظن الظانُّ بِدارَ وهلة، أن قد ضفا عليها طابع الأقليات الكافرة في الهند، كالبراهمة والسيخ، وأن قد تدثَّرت بدثارهم، أو قد تغيَّرت بعض السيماء، حتى نَجَم اسمها من اللغة المحلية هناك، فيرى ـ ظناً ـ أنْ قد انقطعت عن أصولها العُبيدية.

إلى الفِرَق الأصول:

والآن سنشرع بِردِّها في تشعباتها، إلى الفرق الأصول المتقفِّية لديها، التي ندَّت عن الجادة الصائبة، والنهج القويم ابتداءً، منذ انبثاق فجعاتهم الأولى، على عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ممن شايعه، وقد كانت بدايات هؤلاء سليمة، إلا من اندس فيهم، على ما سنرى.

ومروراً بانبثاق الإمامية، ثم الاثنى عشرية، ثم انفصال الإسماعيلية عنهم، قبل تطارحهم واستقرارهم على اثني عشر إماماً.

ثم توزع الإسماعيلية على فرق شتّى، كان من بينها أصول هذه الفرقة. مكتفياً بـبيان الخطوط العامة والـمسمَّيات، دون الشروح والتفريعات، والله الموفق بإذنه، فأسأله جل وعلا أن يعينني على المقصود، من أنجع طريق، وأسهل رفيق.

* * *

من هم الشيعة

الشيعة: هم من شايع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، على تنزُّلٍ خاص بهم[١]، وإلا فكل أهل السنَّة والجماعة يشايعونه محبة وصدقاً، كما يشايعون أبا بكر وعمر وسائر الصحابة.

زعموا وجوب التعيين والتنصيص:

ثم إن الشيعة يجتمعون على القول بوجوب التعيين والتنصيص؛ أي: تعيين الإمام، وأن يُنص عليه، نصاً ظاهراً، وتعييناً نابذاً عن التعريض بالوصف[٢].

فليس للناس اختيار في تعيينه، ثم قالوا: إن هذا الإمام هو علي رضي الله عنه، يجب أن يكون خليفة للنبي ﷺ، لا يضاهيه ـ في اعتقادهم ـ أيٌّ من الصحابة.

وأن الإمامة تنحدر في أولاده:

فزعموا أنه ﷺ نص على ذلك وأوصى إليه بها، كما ألزموا أنفسهم باعتقاد أن الإمامة تنحدر في أولاده.

---

(١) الملل والنحل (١: ١٤٦).

(٢) المرجع السابق (١: ١٤٦، ١٦٢).

والعصمة لأئمتهم:

ثم استدرجوا إثبات العصمة لأئمتهم وجوباً، كما هي الحال في العصمة الثابتة للأنبياء على منزلة سواء، من الصغائر والكبائر[١].

علوُّ منزلة الصحابة:

على أن الإمامية تمادت عن هذا، إلى الإيقاع في كبار الصحابة، بل في سائر الصحابة ـ إلا نزراً يسيراً جداً ـ بالطعن والتكفير، في حين قد أثبتت نصوص القرآن عُلوَّ منزلتهم ونوَّهت بالرضا عن فعالهم، وأشادت بعظيم مكانتهم.

فقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وعدادهم ألف وأربعمئة، وأثنى على المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال أيضاً: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾

---

(١) المرجع السابق (١: ١٤٦).

[التوبة: ١١٧]. وقال تعالى يعدهم التمكين والاستخلاف: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

وهذا كله يفيد في جملته، أن لهم عند الله تعالى عظيم قدر، وعند رسوله كرامة ودرجة رفيعة[1].

وقال تعالى في الحسنى التي وعدهم: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى يمتدحهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

فأحْرِ بهذه الدرجات:

فأَحْرِ بهذه الدرجات مما أُبيد لهم من تلكم النصوص أن تُساقطهم غوائل المفترين من الطوائف الضالة.

---

(١) المرجع السابق: (١: ١٦٤).

وقد ورد في الحديث إدماج عشرة منهم، مع النبيين في أعلى ما يطمح إليه الطامحون؛ فقال ﷺ: «عشـرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة». رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن سعيد بن زيد[١].

وورد في حديث آخر: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد ابن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». رواه الإمام أحمد عن سعيد بن زيد، والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف[٢].

* * *

(١) انظر: الجامع الصغير، ص٣٣٦، وقد رمز له السيوطي بالصحة.

(٢) المرجع السابق، ص١١، وقد رمز له السيوطي أيضاً بالصحة، وانظر: الملل والنحل (١: ١٦٤).

فِرَق الشيعة

الشيعة تفترق ـ في تقسيم الشهرستاني ـ إلى خمس فرقٍ أصول، وهي: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية[١].

وعند البغدادي إلى أربع: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة[٢].

وكل منهما ينشعب إلى فرق ناجمة عنها، يحادُّ بعضها بعضاً، ويضرب بعضها صفاح بعض. وسآتي على ذكرها بإيجاز، متبعاً تقسيم الشهرستاني.

أ) الكيسانية:

أتباع كيسان، كان مولى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقال: أخذ عن محمد بن الحنفية أيضاً، وذلك في بدايات أمره، ثم انعطف مجاهِراً في أخاديد الضلال.

يعتقد أصحابه فيه اعتباطاً زائداً: أن قد أحاط بالعلوم كلها،

---

(١) الملل والنحل (١: ١٤٧).

(٢) الفرق بين الفرق، ص١٥.

التي يحيكون حولها أساطيرهم، كعلم التأويل والباطن، وهواجسهم في الآفاق والأنفس[١].

ب) الزيدية:

أصحاب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

لم يجوزوا الإمامة في غير أولاد فاطمة رضي الله عنها.

إلا أن من مذهبه جواز إمامة المفضول، مع قيام الأفضل، فقد عُهد بالخلافة إلى أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهما، وإن كان علي رضي الله عنه ـ في رأيه ـ أفضل الصحابة. خلاف ما عليه أهل السُّنة.

سبب تسمية الشيعة بالرافضة:

ولما تحققت شيعة الكوفة أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه أبداً، إلى أن جاءه أجله، فسموا رافضة.

جـ) الإمامية:

هم متفقون في مسألة الإمامة، وفي مسألة انتقالها تسلسلاً إلى جعفر بن محمد، ومختلفون فيمن جاء بعده من أولاده، فكانت اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق الأخرى جميعاً[٢].

---

(١) الملل والنحل (١: ١٤٧).

(٢) المصدر السابق (١: ١٦٥).

غير أن عبد القادر البغدادي حصرها في كتابه: «الفرق بين الفِرق» في خمس عشرة فرقة، ولنذكر بعض فِرَقها توضيحاً لبعض الجوانب:

١ـ الموسوية:

هم الذين تابعوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى موسى الكاظم، ووقفوا عنده، فادعوا أنه حي لم يمت، بعد أن دخل دار الرشيد، فلم يخرج منها، فهو ـ بزعمهم ـ المهدي المنتظر[١].

٢ـ المباركية:

قال عنهم عبد القاهر البغدادي: «هؤلاء يريدون الإمامة في ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر كدعوى الباطنية فيه، وقد ذكر أصحاب الأنساب في كتبهم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يُعْقِب»[٢].

وهكذا فقد ذكر الشهرستاني أن من المباركية من وقف على محمد بن إسماعيل، وأنه سيرجع بعد غيبته[٣].

فهؤلاء لا علاقة لهم بالباطنية وإن كانوا من الإسماعيلية.

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧.

(٣) الملل والنحل (١: ١٦٨).

٣ـ الاثنا عشرية:

يقال لهم القطعية، لأنهم قطعوا بموت موسى بن جعفر، ثم ساقوا الإمامة بعده، إلى ولده علي الرضا، وهكذا حتى بلغوا ـ في زعمهم ـ اثني عشر إماماً، فقيل لهم: «الاثنا عشرية»[١].

د) الغُلاة:

هذه الفئة بالغت في حق من يزعمون أنهم أئمة لهم، فأخرجوهم من الطبيعة البشرية، وأضفوا عليهم أحكام الإلهية، ثم هم قد يشبهون الإمام بالإله، أو يشبهون الإله بالمخلوق[٢]. وهم فرق كثيرة، منهم: المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، والمنصورية أتباع أبي منصور العجلي، والسبئية أتباع عبد الله بن سبإ، الذي انفجر منه أصل البلاء، كان يهودياً فادعى الإسلام، وقال لعلي رضي الله عنه: أنت أنت، يقصد: أنت الإله[٣].

وليس من غرضنا في هذا الكتاب التعريج على ذكر فرقهم ومذاهبهم.

وربما عرَّجنا على بعض أفكارهم عند الكلام على أساطير الغلاة والباطنية.

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٤٧. والملل والنحل، (١: ١٦٩).

(٢) الملل والنحل: (١: ١٧٣).

(٣) المصدر السابق: (١: ١٧٤، ٩١- ١٩٢).

هذا وإن عبد القاهر البغدادي يُخرج فرق الباطنية والغلاة من بين الفرق الثنتين والسبعين، الواردة في الحديث، للإجماع على كفرهم.

غير أن الشهرستاني يستخرج ضفائرهم مما انشعب عن فرق الإسلام المنحرفة، وإن كانوا كفرة ضالين.

فالخلاف بينهما في التصنيف، لا في اصطفاء المنزلة.

هـ) الإسماعيلية[1]:

أثبتوا الإمامة لإسماعيل بن جعفر، لأنه الابن الأكبر، إلا أنه مات في حياة أبيه، ومن هنا كان افتراقهم عن الاثني عشرية، لأن مستلزمات الإمامة للَّاحِق لا تأخذ مجراها، إلا بعد وفاة السابق، أي إن إمامة إسماعيل لا تحق فعلاً إلا بعد وفاة أبيه، وهذا مالم يتم، فلم تثبت الاثنا عشرية إمامته.

غير أن الإسماعيلية ثبتت عند إسماعيل، ثم اختلفوا فرقاً:

أ ـ فمن هؤلاء من قال: إنه لم يمت، بيد أنه أعلن موته تقيَّـة، حتى لا يمسه خلفاء بني العباس بسوء.

ب ـ وآخرون قالوا: إن موته قد تحقق، والفائدة التي تُقتنص من إمامته أن تنتقل إلى أولاده دون غيرهم.

---

(١) انظر في هذا الملل والنحل (١: ١٦٧ - ١٦٨).

وهكذا انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل، وهم فرقة المباركية الذين أتينا على ذكرهم.

ثم هؤلاء تشعب بهم الطريق إلى شعبتين:

الأولى: وقفت عند محمد بن إسماعيل، وحكمت برجوعه بعد غيابه.

والثانية: من الباطنية لم تقف عند محمد بن إسماعيل، بل ساق أصحابها الإمامة، فيمن أطلقوا عليهم الأئمة المستورين من أولاده، وقد ذكرنا أنه قد مات، ولم يكن له عَقب[1]، سوى أنهم جنحوا إلى هذا زوراً، ليثبتوا الإمامة ـ بادعاء نسب كاذب ـ لمن ظهر بعد المستورين ممن أقام عمد الدولة العبيدية، وادعوا منصب الخلافة، من أبناء يهود، وهؤلاء هم الذين تفرعت عنهم طائفة البهرة، وسنأتي على ذكر ذلك، إن شاء الله تعالى.

الإسماعيلية هي السَّبْعية:

ويطلق على الإسماعيلية اصطلاح: «السَّبْعية» انتماءً، لانتحالهم ـ كما ذكرنا ـ الإمام السابع، من آل البيت، فهم يفترقون عن الاثني عشرية أن الأخيرة حصرت الإمامة في اثني عشر إماماً، ساقوا الإمامة بعد

---

(١) وانظر الفرق بين الفرق، ص٢٦٦.

موسى الكاظم إلى ولده علي الرضا، وهكذا حتى بلغوا محمد بن الحسن العسكري[١].

قد اختفى في السرداب:

ويزعمون أن آخرهم هذا قد اختفى في سرداب، بدار أبيه في سامراء، وأمه تنظر إليه، ولم يبارح من عمره ثلاث سنين ولم يعد، وإنه ينتظر إلى اليوم.

وهو المهدي المنتظر عندهم، حيث يزعمون أنه يخرج، ليملأ الأرض عدلاً، ويعيد للشيعة مجدهم.

هذا وإن ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ يُدلِّـل على نفي صحة وجوده، وكذلك الشهرستاني في كتابه: «الملل والنحل» وابن حزم في «الفِصَل»[٢].

نسب باطل لتبرير صلتهم بآل البيت:

وإذا كانت الشيعة الإسماعيلية يدعون أن جعفراً الصادق قد عهد بالإمامة إلى ابنه إسماعيل، وتُعاصف الاثنا عشرية هذا الادعاء، وإذا كان فرع الباطنية المنبثق من هؤلاء قد استغل هذا، ونسج قصَّته حول من سماهم الأئمة المستورين، تمهيداً لانتحالهم نسباً باطلاً، فإنما

---

(١) انظر الملل والنحل: الشهرستاني (١: ١٦٩).

(٢) الفصل في الملل والنحل: ابن حزم (٤: ١٨١).

كان ذلك تبريراً لإنشاء صلة لهم بآل البيت، للانقضاض على الإسلام وأهله، غير أن: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]. فعاد أمرهم دَحْضاً هالكاً، وإن تَروَّج، واستعلى زيفه إلى حين. وبقي الإسلام راسخاً مكيناً، تمتد منافذه في العالمين إلى يوم الدين.

قال الشيخ محمد أبو زهرة: «والإسماعيلية طائفة من الإمامية، انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر، وتوافق هذه الطائفة الاثنا عشرية، في سياق الإمامة، من أولها إلى أن تصل إلى الإمام جعفر الصادق، ثم تنفرج عنها بعد ذلك. وهي تقول:

إن الإمام بعد الصادق هو ابنه إسماعيل. لأنه قد نص على إمامته من بعده، ولكنه مات قبل أبيه، فقالوا: إن ثمرة الوصية تظهر في أن تكون الإمامة بعد إسماعيل هذا لابنه، وهو محمد المكتوم، وهو أول الأئمة المستورين، وبعد محمد المكتوم، ابنه جعفر المصدق، وبعده ابنه محمد الحبيب، وهو آخر المستورين»[١].

فهم بهذا قد قصدوا بالمستورين، من كان أمرهم سراً، لا يجنح إلى ظهور، فساقوا الإمامة فيهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم، وهم الذين استعلن أمرهم، وظهر لهم سلطان، كما علم، من السلالة الحاكمة من العبيديين[٢].

---

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، (٢: ٥١).

(٢) انظر الملل والنحل (١: ١٩٢، ١٦٨).

أئمة الاثني عشرية:

أما أئمة الاثني عشرية فهم: ١) علي بن أبي طالب. ٢) الحسن ابن علي. ٣) الحسين بن علي. ٤) علي زين العابدين بن الحسين. ٥) محمد الباقر. ٦) جعفر الصادق بن محمد الباقر. ٧) موسى الكاظم بن جعفر. ٨) علي الرضى. ٩) محمد الجواد. ١٠) علي الهادي. ١١) الحسن العسكري. ١٢) محمد بن الحسن العسكري [١].

هذا وقد عرف التاريخ السيرة الطاهرة النقية لآل البيت، من لدن الصدر الأول إلى يومنا هذا، ليس فيما يخص القرون الثلاثة الأول، يغلب عليهم أن لم يلتاثوا بشيء، مما جنحت له هذه الفرق الضالة.

فقد تبرأ جعفر الصادق، عما كان ينسب إليه الغلاة، وبرئ منهم ولعنهم، كما تبرأ من مذاهب الرافضة وحماقاتهم كلها[٢]. فهو على درب أسلافه من الصحابة والتابعين، وعلم جليل من أعلام الفرقة الناجية، أهل السنَّة والجماعة، الذين ورد فيهم الحديث.

* * *

---

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (٢: ٥٢).

(٢) الملل والنحل (١: ١٦٦).

العبيديون

ترجع تسميتهم هذه إلى مؤسس دولتهم، وإن أغدق العبيدون على أنفسهم التسمية الفاطمية تضليلاً، كيما يشيعوا أنهم ينتسبون إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها.

وهؤلاء قد حكموا مصر والشام والمغرب والحجاز، ودامت دولتهم حوالي ٢٨٠ سنة.

أما مؤسس دولتهم فقد تسمَّى بعبيد الله المهدي، كان يهودياً ـ كما ذكر ابن تيمية ـ يعمل حداداً في مدينة سلمية شرقي حماة، فأظهر أنه شيعي إسماعيلي، وأبطن ما انطوت عليه نفسه، دخلاً وترة بين المسلمين، ومكراً وخديعة.

وقد نشطت دعوته عن طريق أحد أتباعه: «أبي عبد الله الشيعي» بين المغاربة، فلما كثر أتباعه هنالك التحق بأبي عبد الله، وأسس دولته في المغرب، وبنى مدينة سماها المهدية، على بعد (٦٠) ميلاً عن القيروان.

وتتالى من بعده الحكام العبيديون، حتى كان عهد المعز، فتسنى له دخول مصر، وبنى قائده (جوهر) مدينة القاهرة، ومسجد الأزهر، ليكون مركزاً للدعوة الإسماعيلية.

إلى أن أزيلت دولتهم، فهلكوا على يد صلاح الدين رحمه الله تعالى،إذ أتى على آثارهم، ودفن أخبارهم، على ما سنذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ وتمكن ـ بفضل الله جل وعلا ـ من طمس إلحادهم ومعتقداتهم، وأعاد حكم مصر إلى حظيرة السُّنة، وأغلق الأزهر، حيث كان مركزاً لبثِّ سمومهم، بقي معطَّلاً مائتي سنة.

أما عامة الناس فقد كانوا من أهل السنَّة دائماً، حتى في ظل الحكم العبيدي، قال عبد القاهر البغدادي، الذي عاصر حكم العُبيديين: «وأهل مصر ثابتون على السُّنة إلى يومنا»[1].

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»:

«وقد كانت مدة ملك الفاطميين مئتين وثمانين سنة وكسراً، فصاروا كأمس الذاهب، كأن لم يَغْنَوا فيها، وكان أول من ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداداً اسمه عبيد، وكان يهودياً فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه: إنه المهدي كما ذكر غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعمئة، كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكَّن إلى أن بنى مدينة سماها المهدية نسبة إليه، وصار ملكاً

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٢٧٥.

ثم يقول: قال أبو شامة: وقد استقصيت الكلام في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحمن بن إلياس، ثم ذكر في الروضتين في هذا الموضع أشياء كثيرة في غضون ما سقته من قبائحهم، وما كانوا يجهرون به في بعض الأحيان من الكفريات، وقد تقدم من ذلك شيء كثير في تراجمهم.

قال أبو شامة: وقد أفردت كتاباً سمته «كشف ماكان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد» وكذا صنف العلماء في الرد عليهم كتباً كثيرة، من أجلِّ ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبو بكر الباقلاني، الذي سماه: «كشف الأسرار وهتك الأستار»[1].

* * *

(١) البداية والنهاية (١٢: ٢٦٨).

مطاعاً، يظهر الرفض، وينطوي على الكفر المحض، ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور[١]، ثم ابنه الطاهر علي، ثم ابنه المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي أحمد، ثم ابنه الآمر منصور، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد، ثم ابنه الظافر إسماعيل، ثم الفائز عيسى، ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم، فجملتهم أربعة عشر ملكاً...

وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء والعبّاد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية[٢]، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكامله، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور، وبلاد غزة وعسقلان، وكرك الشوبك وطبرية، وبانياس وصور، وعكا وصيدا وبيروت، وصفد وطرابلس وأنطاكية، وجميع ما والى ذلك إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين، وبلاد شتى غير ذلك»[٣].

---

(١) هو الذي تسمى بالحاكم بأمر الله العبيدي الذي تؤلهه الطائفة الدرزية.

(٢) هم القرامطة الباطنية (الحشاشون) الذين أعملوا القتل في المسلمين، وكانت لهم قلاع في فارس والبحرين وقد احتجزوا الحجر الأسود عندهم ثلاثين عاماً.

(٣) البداية والنهاية (١٢: ٢٦٧).

دركاتهم في الضلال

وقد ذكر هؤلاء ابن تيمية في معرض حديثه عن الفلاسفة من الملاحدة الباطنية، فأبان عن حقيقة أمرهم، وأسعف في تحديد هُويتهم، مهما تلوَّنوا أمام أتباعهم في دركات التضليل، حيث قال:

«ويجعلون أئمة الباطنية ـ كبني عبيد بن ميمون القداح ـ الذين ادعوا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده، بل كان جدهم يهودياً ربيباً لمجوسي، وأظهروا التشيع، ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة: لا الإمامية، ولا الزيدية، بل ولا الغالية الذين يعتقدون إلهية علي، أو نبوته، بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم.

ولهذا كثر تصانيف علماء المسلمين في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم، وكثر غزو المسلمين لهم، وقصصهم معروفة، وابن سينا وأهل بيته كانوا من أتباع هؤلاء على عهد حاكمهم المصري، ولهذا دخل ابن سينا في الفلسفة.

وهؤلاء يجعلون محمد بن إسماعيل هو الإمام المكتوم، وأنه نسخ شرع محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب، ويقولون: إن هؤلاء الإسماعيلية

كانوا أئمة معصومين، بل قد يقولون: إنهم أفضل من الأنبياء وقد يقولون: إنهم آلهة يعبدون.

ولهذا أرسل الحاكم غلامه «هشتكير» الدرزي إلى وادي تيم الله ابن ثعلبة بالشام، فأضل أهل تلك الناحية، وبقاياه فيهم إلى اليوم، يقولون بإلهية الحاكم، وقد أخرجهم عن دين الإسلام... فلا يرون الصلوات الخمس، ولا صيام شهر رمضان، ولا حج البيت الحرام، ولا تحريم ما حرمه الله ورسوله من الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك.

وهؤلاء يدعون المستجيب لهم أولاً إلى التشيع، والتزام ما توجبه الرافضة وتحريم ما يحرمونه، ثم بعد هذا ينقلونه درجة بعد درجة، حتى ينقلوه في الآخر إلى الانسلاخ من الإسلام، وأن المقصود هو معرفة أسرارهم. وهو العلم الذي به تكمل النفس. كما تقوله الفلاسفة الملاحدة، فمن حصل له هذا العلم وصل إلى الغاية، وسقطت عنه العبادات التي تجب على العامة كالصلوات الخمس، وصيام رمضان، وحج البيت، وحلت له المحرمات التي لا تحل لغيره»[1] انتهى.

هذا وقد رأيت لعبد القاهر البغدادي كلاماً كثيراً في الباطنية، أقتطف منه هذه المقاطع اليسيرة، منضِّداً بينها بوضع عنوان لكل منها:

---

(١) مجموع الفتاوى، المجلد الرابع، كتاب مفصل الاعتقاد، ص١٦٢-١٦٣، لكن العلماء قد ذكروا أن ابن سينا قد تاب في آخر عمره ورجع إلى الإسلام.

الدعوة إلى دين المجوس:

«وقد اختلف المتكلمون، في بيان أغراض الباطنية، في دعوتها إلى بدعتها، فذهب أكثرهم، إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس، بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة، واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسياً، من سبي الأهواز، ودعا ابنه عبيد الله بن ميمون الناس إلى دين أبيه».

أو إلى الصابئة الحرانية:

«ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين، الذين هم بحرَّان، واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط، داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان، كان من الصابئة الحرانية، واستدل أيضاً بأن صابئة حران يكتمون أديانهم، ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم.

والباطنية أيضاً لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم، بعد إحلافهم إياه، على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم».

دُهرية زنادقة:

«والذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشـرائع كلها. والدليل على أنهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم (بالسياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم)، وهي رسالة عبد الله بن الحسن القيرواني إلى سليمان بن الحسن

ابن سعيد الجناني، أوصاه فيها بأن قال له: «ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم، فمن أنست منه رشداً فاكشف له الغطاء، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة مُعوَّلنا».

إنكار الغيبيات:

«وذكر في هذا الكتاب إبطال القول بالمعاد والعقاب. والباطنية يرفضون المعجزات، وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر والنهي، بل ينكرون أن يكون في السماء ملك، وإنما يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم، ويتأولون الشياطين على مخالفيهم، ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة، فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة، بدعوى النبوة».

من عرف أضاليلهم في معنى العبادة سقطت عنه بزعمهم:

«ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً، فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته، وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام، دون الإمساك عن الطعام، والزنى عندهم إفشاء سرهم، بغير عهد وميثاق، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها»[1].

---

(١) الفرق بين الفرق: البغدادي، ص٢٧٧-٢٨٠ بتصرف وحذف.

نواياهم الخبيثة

ومما يسعفنا أيضاً في الاطلاع على خبث نواياهم أنهم استوزروا وزراء السوء من غير المسلمين، فقد اشترى الخليفة الظاهر أمة سوداء كانت لتاجر يهودي اسمه سهل بن هرون التستري، فولدت له المستنصر، الذي حكم بعد أبيه.

أما التستري فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه استنهض دوراً عظيماً، بعهد المستنصر، مستغلاً صداقته لوالده[١].

وفخر الملك:

ومن وزراء المستنصر: صدقة بن يوسف الفلاحي، الذي يدعى «فخر الملك» كان يهودياً، ثم تشيع على المذهب الإسماعيلي.

وبدر الجمالي:

كما استلم الوزارة الأولى له «بدر الجمالي» أرمني الأصل، اشتراه جمال الدولة ابن عمار غلاماً، فتربّى عنده، ونسب إليه، وتقدم في الخدمة، حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر، سنة ٤٥٥هـ.

---

(١) عارف تامر: الظاهر لإعزاز دين الله، ص٩.

أصبح الحاكم في دولة المستنصر:

ثم استدعاه إلى مصر، واستعان به على دحر مناوئين له، فوطد له أركان الدولة، فقلده وزارة السيف والقلم، وأصبح الحاكم في دولة المستنصر [١].

ثم تولى الوزارة من بعده للمستنصر، ابنه أحمد، كان داهية كأبيه.

حفيد المستنصر:

وقد يكون من المفيد الاستمرار في النهج، فقد وطد دعائم الملك للآمر العبيدي حفيد المستنصر، ودبَّر شؤون دولته، وكان أمير جيوشه، وامتدت ولايته ثمانياً وعشرين سنة [٢].

طلائع بن رُزِّيك:

ومن وزراء الخليفة الفاطمي «الفائز» طلائع بن رُزِّيك الأرمني، الذي تربَّى على المذهب الإسماعيلي.

وقد مات الفائز صبياً، سنة (٥٥٥هـ)، ابن احدى عشرة سنة، وكان يصاب بالصرع، بايعوه بعد مقتل والده.

---

(١) الأعلام للزركلي (٢: ١٣).

(٢) المرجع السابق (١: ٩٩).

وكانت أمور السلطنة راجعة إلى طلائع، حيث دعي بالملك الصالح، وكان من علماء الرافضة وأدبائهم.

وبعد وفاة الفائز بويع ابن عمه العاضد، فزوَّجه طلائع بن رُزِّيك بابنته تمتيناً لتسلطه.

لكنه في السنة التالية أساء إلى الأمراء، فتعاملوا عليه مع العاضد، فقتل بدهليز القصر، ونُصب ابنه رُزِّيك مكانه، غير أن ولايته لم تدم إلا سنتين، حيث قُتل سنة ٥٥٨هـ[١].

ونشطت المذاهب المعادية للإسلام:

وكما رأينا من كلام ابن كثير أن تاريخهم كان حافلاً، في عداوة الإسلام والمسلمين، داخل البلاد التي حكموها وخارجها.

فلقد نشطت المذاهب المعادية للإسلام، تحت ظل حكمهم، من الدروز، والحشاشين، والنصارى، كما استذربت سواعد الصليبيين في أرض الشام.

* * *

(١) كتاب دول الإسلام للذهبي (٢: ٧١ – ٧٢).

من مخازيهم في التعاون مع الصليبيين

في سنة (٥٥٩هـ)، قويت شوكة نور الدين الشهيد، بعد أن انتصر على الصليبيين نصراً مؤزّراً، وأسَرَ بعض قادتهم، واستذلَّت له أجنحتهم.

فاستنجد به (شاور) وزير العاضد، ومتولي أمر مصر، ليحميه ممن ناوأه، على أمر الوزارة وقهره، ويدعى الملك المنصور ضرغام، فجهز (نور الدين) نائبه (أسد الدين شيركوه) إلى مصر، ليكون له فيها قدم صالحة، فلما دخلها (شيركوه) قتل خصم (شاور) فاستراح شاور ممن كان يُرعده.

ولما اسْتتبَّ له الأمر وتمكَّن، لم يرع مع شيركوه طيب الثَّواء، ثم استعان بالصليبيين، من حيث لم يكن قهره في اقتداره، وبذل لهم الأموال، فأنجدوه وأمدوه بجنود من عدة مواقع لهم، لكن الله تعالى أخزاهم باستيلاء نور الدين على بعض حصونهم، فدبَّ فيهم شبح الهزيمة، فهادنوا شيركوه، ولم يتم الأمر لشاور.

ثم في سنة (٥٦٢هـ) جهز نور الدين جيشه مع أسد الدين

شيركوه لفتح مصر، فاستنجد شاور للمرة الثانية بالصليبيين وجرت معارك انتصر فيها شيركوه، بيد أن النصر الكامل لم يتحقق له[١].

كيف انتهى أمر العبيديين؟

وفي سنة (٥٦٤هـ)، أقبل الصليبيون في جيش كبير، ليأخذوا مصر، فحاصروا بلبيس واستباحوها، ثم حاصروا القاهرة، فاستنجد شاور بنور الدين، فسارع أسد الدين شيركوه إلى مصر، بجيش مظفر، للمرة الثالثة، فتقهقر الصليبيون لمجيئه.

ولما دخل القاهرة استلم مقاليد الحكم، فاستزلف له العاضد العبيدي ـ آخر ملوك العبيديين ـ وسلَّمه أمر الوزارة، وسماه الملك المنصور سلطان الجيوش، ثم لم يبرح أن نزل به الموت، بعد شهرين، فما كان من العاضد إلا أن قلد هذا المنصب صلاح الدين بن يوسف ابن أخي أسد الدين.

واقتربت نهايتهم:

فنهض صلاح الدين بأعباء الملك، ثم أخذ يُحكم سيطرته، فبدأ الرقم النازل يستطير، مُؤْذناً باقتراب نهايةالعبديين، إذ جرت سنة الله تعالى إذا شاء أمراً هيأ أسبابه، فكانت هذه المقدمات التي غبرت إيذاناً بانتهاء هذا الشر المستطير.

---

(١) المرجع السابق (٢: ٧٣ - ٧٦).

صلاح الدين يستنزف العبيديين:

كان صلاح الدين يستدرج من شكيمة العبيديين وأموالهم، مستفيداً مما تقارع الأحداث أيامه.

ثم ما زال يسير من ظفر إلى ظفر، ويستنزف من العاضد أموالاً باهظة، لتحركاته ضد الصليبيين وغيرهم، من المناوئين، حتى لم يبق للعاضد شيء.

وأمكن الله جل وعلا صلاح الدين منه، فخلعه من الخلافة، ثم ما لبث العاضد أن مات بعد ذلك بيسير.

فتسلَّم صلاح الدين القصر، وأزاح شراسف نازليه عنه، واعتقل منه بعض أقارب العاضد. وبذلك انتهى أمر العبيديين.

وهكذا فقد تخلصت مصر من ربقة هذا الحكم الفاجر، وانتقلت إلى سُدَّة الخلافة العباسية[1].

* * *

(١) المرجع السابق (٢: ٧٧ - ٨٠).

البهرة فرقة من العبيديين

والبهرة التي نحن بصددها فرقة من العبيديين باعترافهم، وذلك أنه وقع الخلاف بينهم حول من يتولى الإمامة من بعد الآمر فذهبت المستعلية (البهرة) إلى أن الإمام هو المستعلي، وذهبت النزارية إلى أن المستنصر أوصى بالخلافة لابنه الأكبر نزار.

ونحن ندينهم بما كتبه أهل نحلتهم من الإسماعيلية، فقد قال الدكتور عارف تامر وهو ممن يدين بالإسماعيلية في كتابه «عبيد الله المهدي»: «يعتبر الإسماعيليون المستعليون (البهرة) بفرعيهم السليماني والداؤدي، وهكذا الدروز ـ عبيد الله المهد ي ـ إماماً مستودعاً، وهذا الاصطلاح يعطي تفسيراً بأنه كان إماماً وكيلاً، أو وصياً، أو نائباً للإمام الأصيل، لفترة زمنية محدودة، وليس له صلاحية توريث الإمامة لأحد من أولاده، فمثله كمثل الحسن بن علي.

بينما يعتبره الإسماعيليون النزاريون إماماً مستقراً، وصاحب نص ثابت، فهو كالحسين بن علي، له صلاحية توريث الإمامة لمن يقع اختياره عليه من أولاده»[1]. ويقول في كتابه «الآمر بأحكام الله»:

---

(١) عارف تامر: عبيد الله المهدي، ص١٢.

«ولكن لا بدَّ من القول بأنها قد انقسمت إلى فرقتين هما: المستعلية (البهرة) التي اتخذت اليمن موطناً لها بعد سقوط الدولة في مصر، فتحولت إلى دعوة دينية سرية صِرْفة، وابتعدت عن أي نشاط سياسي حتى يومنا هذا، كما أنها انقسمت إلى عدة فرق.

وأما الثانية أي النزارية فقد لعبت دوراً سياسياً كبيراً في (أَلَموت ـ فارس) بعهد الحسن بن الصبَّاح[١]، ومن جاء بعده، وظلت تشمل قوة كبيرة، حتى قضى عليها التتر أخيراً، وبعد ذلك تحولت إلى قاعدة دينية، لها مراكز في سورية وفارس وأفغانستان والهند، وباكستان وأفريقيا، ولكن ليس لها أي أثر في السياسة العالمية، وهي منقسمة إلى عدد من الفرق»[٢].

شأنهم شأن فروع الإسماعيلية الباطنية:

يَنْمي هذا الكلام الذي نقلناه، على رفرف لا غموض فيه أن البُهرة عبيديون من الإسماعيلية، أعداء ألداء للإسلام والمسلمين شأنهم في ذلك شأن فروع الإسماعيلية الباطنية، من القرامطة والنزارية والدروز والآغاخانية[٣]، وكذلك الباطنية من غير الإسماعيلية كالنصيرية.

---

(١) وهو من أشقى القرامطة، وأشدهم عداء للمسلمين.

(٢) الآمر بأحكام الله، ص٨٦ - ٨٧ باختصار.

(٣) التي أسسها حسن شاه من إسماعيلية إيران، حيث ادعى في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي بأنه الإمام الإسماعيلي المعصوم، والمهدي المنتظر، وكانت =

وقد جاء تأييداً لهذا ما ذكره البهرة عن أنفسهم، في بيانهم الذي نشروه بمناسبة إنشاء مركز رجْس لهم في دبي ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، أنهم ينتمون إلى الدعوة الفاطمية، وأنهم نقلوا مركزهم إلى الهند في القرن العاشر الهجري، واستمر أمرهم بها إلى يومنا.

* * *

= السلطات الإنكليزية تمده بالمال والسلاح، وهي التي نصبته إماماً على الإسماعيلية في الهند، ثم خلفه ابنه آغاخان الثاني، ثم حفيده آغا خان الثالث، وقد استمدت الآغاخانية تعاليمها من الإسماعيلية الأولى، ويفترقون عنهم بالقول بإمامة آغاخان وأبنائه من بعده، وأنهم المعصومون المتصفون بصفات الجلال والكمال، حيث حلت فيهم روح الله، نعوذ بالله من ذلك.

حركة الباطنية ألوانها ومناهجها وموسوعتها الجامعة

تحت هذا العنوان كتب الدكتور عبد القادر محمود في كتابه: «الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث» كلمة جمعت شتات حركاتهم وألقابهم[1]، رأيت أن أثبتها ههنا فإن فيها القول الحسن والجمع الموفق.

قال فيها: «الباطنية لقب شامل لفرق كثيرة حقيقة اتجاهاتها واحدة، وأزياؤها وأسماؤها مختلفة، وقد اتفق كثير من كتّاب الملل والنحل على أن ألقابهم خمسة عشر، أشهرها: الباطنية، والقرامطة، والإسماعيلية، والمباركية، والسبعية، والتعليمية، والرافضة، والإباحية، والملاحدة، والزنادقة، والمزدكية، والبابكية، والخُرمية، والمحمرة، والخرمندينية، وفي زماننا البابية والبهائية.

ولا شك أن الدارسين للملل والأهواء والنحل في مختلف

---

(١) وانظر الملل والنحل للشهرستاني: (١: ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٢).

الكتب والرسائل، أمثال الفرق للبغدادي والملل والنحل للشهرستاني، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، وتثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار الهمداني، وفضائح الباطنية للغزالي، وقواعد آل محمد الباطنية، لمحمد بن الحسن الديلمي اليماني، نقول: لا شك أن الدارسين لهذه الكتب، وغيرها من كتب المؤرخين: واجدون الكثير من حقائق عقائد الباطنية، بوجه عام، لكن هناك رسالة صغيرة، لا تزيد عن أربع وأربعين ورقة، كتبها أحسن فقهاء أهل السنَّة، الذين عاشروا الباطنية، واندمجوا معهم فترة طويلة، وهو العالم الفقيه، محمد ابن مالك بن الفاضل الحمادي اليماني، أحد فقهاء السنَّة في اليمن، في أواسط المئة الخامسة للهجرة، أما اسم الرسالة فهو: «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة».

وخطورة الرسالة ترجع إلى أن المؤلف قد عايشهم، واندمج فيهم، للكشف عن حقيقتهم، وبيانها للمسلمين، وهو يؤكد في مقدمة رسالته: إني رأيت أن أدخل في مذهبهم «لأتيقَّن من صدق ما قيل فيه من كذبه، ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفَّحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله مُوهن كيد الكافرين». ويؤكد المؤلف العالم أن الصليحية الباطنية، وهم الذين عايشهم في اليمن، واختلط

بغيرهم من الأمصار الأخرى معهم، يؤكد أنهم حتى في فقههم يرجعون إلى اليهودي ابن كلس، مدون هذا الفقه وراعيه، كما يؤكد أن لهم أصولاً مجوسية، لكنهم جميعاً: «من ولد اليهود، بدليل استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة».

وهو يرى أن أشهر ألقابهم الباطنية لزعمهم أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وهذا يؤكد لنا حقيقة الموسوعة الباطنية الكبرى (رسائل إخوان الصفا).

ويذكر مقدم الرسالة اعتماداً على مؤلفها اليماني، أن هؤلاء الباطنية يعرفون في العراق باسم القرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط، وباسم المزدقية أيضاً، بالنظر إلى أنهم يدينون بدين الاشتراك في الأبضاع والأموال، ذلك الذي ابتدعه مزدق، في عهد عباد الساساني، ويسمون في خراسان بالتعليمية والملاحدة، وبالميمونة نسبة إلى ميمون شقيق قرمط، وهو غير ميمون الديصاني (القدَّاح) لأنه ليس بفرع بل هو أصل البلاء كله، ويدعون في مصر بالعُبيدية، نسبة إلى عُبيد الله المعروف، وفي الشام بالنصيرية، والدروز، والتيامنة، وفي فلسطين بالبابية، والبهائية، وفي الهند بالبُهرة، والإسماعيلية، وفي اليمن باليامية نسبة إلى القبيلة المعروفة، وفي بلاد الأتراك بالكداشية والقزلباشية، وفي بلاد العجم بالبابية، وأشهر رجالهم حمدان قرمط في الكوفة، وقد خرج سنة ٢٦٤هـ وأخوه ميمون، المبعوث إلى خراسان، وأبو شامة

الحسين، وعبدان، وأبو سعيد حسن بن بهرام الجنابي، وقد خرج سنة ٢٨٦هـ. ثم ابناه: أبو طاهر الجنابي وسعيد الجنابي، وابن حوشب، وأبو عبد الله الشيعي، وأخوه أبو العباس المبعوثان للمغرب للدعوة إلى عبيد الله المهدي، والحسن بن مهران المقنع، وذكروين بن مهروين صاحب فتنة الشام، والحسن بن الصباح»[1]. انتهى مع بعض حذف.

* * *

(١) ص١٩ - ٢٠، وقد اكتفينا بهذا الجزء ـ وهو يسير ـ من بحثه لأنه يناسب المقصود من هدفنا.

أكاذيب وأباطيل

وهنا نورد بعض الأكاذيب والأباطيل الباطنية للعبيديين، الذين يتفقون عليها ـ مع غيرهم من الفئات الباطنية ـ أصولاً، ويختلفون فيما بينهم فروعاً، والغاية واحدة، نرويها كما جاءت عندهم مع التحريف والتمويه الذي وقع عليها تقية، ولكنها تلقي بعض الظلال على ما هم عليه من عقائد فاسدة.

يقول عارف تامر في كتابه (الظاهر لإعزاز دين الله): «والطهارة في الظاهر هي الوضوء والغسل بالماء، والتيمم بالصعيد لمن يجوز له ذلك من أحداث البدن، أما في الباطن فهي التطهير بالعلم، وبما يوجبه العلم من أحداث النفوس...

أما غسل الوجه فهو أول الفرائض، والوجه في التأويل الباطني مثله مثل النبي في عصره، والإمام في زمانه، فكل واحد منهما به يتوجه أهل عصره إلى الله، وهو وجه الله الذي يؤتي من قبله، وفيه أمثال النطقاء السبعة، وهي العينان، والأذنان، والمنخران، والفم...

وعن غسل اليدين للمرفقين:

فباطن ذلك أن اليدين مثلهما مثل الإمام والحجة، ويجري مثلهما كذلك، فيمن دونهما، من الحدود المزدوجة، فغسلهما إلى المرفقين، وهما منتهى حدَّيْهما، إقرار ومعرفة بحدودهما من أولهما إلى آخرهما...

وأما المسح على الرأس، فالرأس في التأويل هو الرئيس، ومثل الرأس في الباطن، مثل الإقرار بصاحب الشريعة محمد، والتمسك بشريعته وسنته.

والمسح على الرجلين هو: الإقرار بالإمام وحجته ومعرفته الواجب لهما، والغسل: الطاعة، والمسح هو: الإقرار، ويكون هذا بجارحتين: قول باللسان واعتقاد بالقلب» انتهى.

كلامهم هذا يعني أنهم ينكرون أفعال الوضوء، الواردة بقوله عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، التي يتعبد المسلمون الله تعالى بها، في إزالة الحدث، لأداء العبادة، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، فإنكاره كفر، ومثل هذا يقال في تأويل الباطنية، للصلاة والزكاة، والصوم، والحج، وسائر أحكام الشريعة، بمثل هذه الأباطيل.

❊ ❊ ❊

صور أخرى من أضاليل فِرَق الباطنية

أبدؤها بما ورد في صحيح مسلم، فقد أورد ابن الأثير الجزري في جامع الأصول، من رواية مسلم في مقدمة كتابه، عن سفيان بن عيينة، قال: «سمعت رجلاً سأل جابراً الجُعفي، عن قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]. قال جابر: لم يجيء تأويلها بعد.

قال سفيان: وكذب. فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: طائفة من الرافضة تقول: إنَّ علياً في السحاب، فلا نخرج مع من خرج من ولده، حتى ينادي منادٍ من السماء ـ يريدون علياً أنه ينادي ـ اخرجوا مع فلان.

فهذا تأويل هذه الآية عندهم. وكذب جابر وكذبوا هم، إنما كانت هذه الآية في إخوة يوسف»[1].

قال محقق جامع الأصول: «وقال مسلم في المقدمة أيضاً: حدثنا سفيان، قال: كان الناس يتحملون عن جابر الجعفي، قبل أن يظهر ما

---

(١) انظر: جامع الأصول (١: ٤٢٢ - ٤٢٣).

أظهر، فلما أظهر اتهمه الناس في حديثه، وتركه بعض الناس. فقيل له: وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «الرجعة ما تعتقده الرافضة ـ بزعمها الباطل ـ أن علياً في السحاب. وهذا نوع من أباطيلهم، وعظيم جهالاتهم اللائقة بأذهانهم السخيفة، وعقولهم الواهية. انتهى.

وللشيعة عقيدة أخرى في الرجعة: أنهم يعتقدون أن أرواح أوليائهم تحل في أجسام طيبة، وأرواح أعدائهم من أبي بكر وعمر وشيعتهما من المسلمين تحل في أجسام خبيثة، أو في حيوانات سافلة، كالقردة والخنازير، ولهم في ذلك كلام شنيع، قبحهم الله»[1] انتهى.

أقول: وهو الذي يطلقون عليه التناسخ.

من مسترذلاتهم التي وصفوا بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ذكر بعض من كان ولج في سفاهات الباطنية، ثم وفقه الله تعالى أن عاد لرشده وارتدَّ عنهم: أنهم لما وثقوا منه قالوا له: «إن المسَمَّين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد كانوا أصحاب نواميس ومخاريق، أحبوا الزعامة على العامة، فخدعوهم بنَيْرَنْجات، واستعبدوهم بشرائعهم».

---

(١) جامع الأصول (١٠: ٤٢٢ - ٤٢٣)، وهو في صحيح مسلم بشرح النووي، (١: ١٠٢-١٠٣).

ثم تناقض هذا القائل مع نفسه، فقال لهذا الذي عاد لرشده: «ينبغي أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى ابن عمران من الشجرة، فقال له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]، فقال له: سخنت عينك، تدعوني إلى الكفر برب قديم، الخالق للعالم، ثم تدعوني مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهاً مرسِلاً لموسى، فإن كان موسى عندك رزاقاً فالذي زعمت أنه أرسله أكذب... ثم قال: وتبت من بدعتهم»[١].

من ورائه انشعبت أصناف الغلاة:

ومن مخازيهم ما كان يقول أول مُنتبِر لأزمَّة الكفر في الإسلام ومُدخلٍ لأشـرعة الضلال في الأمة (عبد الله بن سبأ) لعلي كرم الله وجهه: أنتَ أنتَ، يعني: أنت الإله، ومن ورائه انشعبت أصناف الغلاة، وانبثقت فرق الضلال.

وهو أول من زعم أن علياً لم يمت، وهو الذي يجيء في السحاب، وأن ما يُسمع من الرعد فهو صوته، وما يُرى من البرق فهو تبسُّمه، ولا بد أن ينزل إلى الأرض، بعد ذلك[٢]، على ما زعمه من عقيدة الرجعة.

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٢٨٨.

(٢) الملل والنحل (١: ١٧٤).

الباطنية بسائر فرقهم
مجتمعون على فكرتي التناسخ والحلول

أما التناسخ فهو ما قد علمت، وأما الحلول فاعتقادهم ـ كما قال الشهرستاني ـ أنَّ الله قائم بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر في كل شخص[1]، أي أنه قد حَلَّ في خلقه! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى: ١١].

بل قد سَرَت هذه الرذيلة إلى بعض من يدَّعي أنه من المتصوفة، فانتقلوا بذلك من رياض التوحيد والتنزيه، إلى كبكبات هذا الكفر الشنيع، فانحدروا بذلك إلى منزلة، هي شر مما عليه اليهود والنصارى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤ - ٩٥]. هذا إن لم يعودوا إلى رُشْدهم.

ومما قاله المغيرة زعيم فرقة المغيرية:

زعم أنه نبي، فخلع ربقة الشرائع، واستحل المحارم، ثم تدرج

---

(١) المرجع السابق (١: ١٧٥).

إلى وصف الله أنه صورة وجسم ذو أعضاء، على مثال حروف الهجاء، أما صورته فصورة رجل من نور، قد تكلل على رأسه بتاج من نور.

وزعم أن الله لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم، فطار فوقع على رأسه تاجاً، ثم استطرد في طقطقاته وحشرجاته فقال: وذلك قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى * ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ١ - ٢][1].

فأين هذه الاختناقات والتهويمات الشنيعة، مما أكرم الله تعالى به أهل الحق، من صفاء العقيدة وسُمُوِّها وتوحيدها وتنزيهها وتكاملها، وسَعَة آفاق الإيمان الناصع، ونقاء الشريعة السمحاء، وانفساح الفكر النيِّر، في معرفة المبدأ والمصير، المتصل بالفهم عن الحكيم الخبير: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

* * *

(١) المرجع السابق (١: ١٧٧).

بعض فرق الباطنية

واستكمالاً لما نحن فيه أردت أن أعرِّف ببعض فرق الباطنية.

١) القرامطة:

ينتسبون إلى حمدان قرمط، موطنه من قرية من قرى واسط، فلهذا أطلق عليهم قرامطة، ظهر بقرية من سواد الكوفة، سنة (٢٧٠هـ)، أحمر البشرة والعينين، فأطلق عليه (كرمية) بالكاف العجمية، وتعني بالفارسية السفلة، فخفف ثم حُرِّف فقيل: قرمط.

وقيل: إن اللفظ عربي، مادته مستمدة من: قرمطَ البعير، إذا كان خطوه متقارباً.

ادعى أن النبي ﷺ بشَّر به، ثم تزيى بزِيِّ الزهد، وتدثَّر بدثار الصلاح ظاهراً، فتبعه كثير من الدهماء.

قال عن نفسه: إنه الإمام المنتظر، ثم ابتدع أشياء، فقال: إنه الكلمة، والمهدي، وشرع لهم الصلاة، ركعتين في الصبح، وركعتين في المغرب، والصوم عنده يومان فقط: يوم المهرجان والنوروز، وجعل قبلته بيت المقدس.

وبث دعاته وأتباعه فأوقعوا حروباً عظيمة مع المسلمين، تعرف في مظانها من كتب التاريخ، فكان منهم سليمان بن الحسن، تمادى أمره حتى قدم مكة في يوم التروية فقلع باب الكعبة، وأخذ كسوتها وقتل الحُجَّاج، ثم رماهم بزمزم، كان ذلك في عهد الخليفة العباسي (المقتدر) سنة(٣١٧هـ)، ثم قلع الحجر الأسود، واحتجزه القرامطة عندهم (٢٢) عاماً، إلى أن ردوه مكسوراً، فوضع مكانه، ونفذ سلطانهم على مصر والشام إلى أن شاء الله تعالى إهلاكهم، فبادوا، وكان امتداد دولتهم يناهز ثمانين عاماً[١].

٢) الطيارية:

ويطلق عليهم الجناحية، هم أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر ذي الجناحين، زعموا تناسخ الأرواح.

ثم ساقوا هذا التناسخ الكاذب أن روح الله كانت في آدم، ثم تحدرت إلى شيث، وهكذا إلى الأنبياء والأئمة، حتى انتهت إلى علي وأولاده الثلاثة، ثم انتقلت إلى عبد الله بن معاوية المذكور.

وهو في جبل بأصبهان وأنه سيخرج بعد حين، وأحلوا المحرمات وأنكروا القيامة[٢].

---

(١) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض (٤: ٤٩٨).

(٢) شرح الشفا لعلي القاري، بهامش نسيم الرياض (٤: ٤٩٩).

٣) البيانية:

ينتسبون إلى بيان بن سمعان اليمني، زعموا أن روح الله حلَّت في عليٍّ كرم الله وجهه، ثم انتقلت إلى ابنه محمد بن الحنفية، ثم إلى ابنه هاشم، ثم إلى بيان[١]. فهم يتفقون مع الطيارية في الحلول والانتقال، ويختلفون عنهم في مبدأ ذلك ومنتهاه.

قوياً ثابتاً مكيناً:

وباستعراض ما ذُكر تبدو حقارة هذه الديانات، وصغارها، وتهدم قواعدها، وترديها في وديان الظلام، وتعثُّراتها القميئة، أمام طود الإسلام الشامخ، على مر الأزمان، لا تؤثر فيه الزعازع، ولا تهدمه الأعاصير، قوياً ثابتاً مكيناً، إلى يوم الدين، وليثبت بذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

* * *

---

(١) نسيم الرياض (٤: ٤٩٩).

خاتـمة

البهرة تنتمي إلى الفرق الباطنية، والباطنية تعني أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، توصلاً منهم إلى المروق من الإسلام، والتحلل من أحكام الشريعة، ورفض ما جاء به الوحي.

ثم هي متفرعة عن الإمامية، التي تلتقي فِرَقها في المجمل على إمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ، ثم إمامة ذريته من بعده، وإنكار ما عداه.

ثم هي سبعية إسماعيلية، من حيث إنها تفترق عن الاثنى عشرية بانتسابها إلى إسماعيل بن جعفر، الذي مات في حياة أبيه، وتفرع عن الإسمـاعيلية العُبَيديون الذين تسموا بالفاطميين كذباً، وهم يهود، انتسبوا فرية إلى محمد بن إسماعيل، ليكون لهم صلة بالتشيع، وارتباط بآل البيت ظاهراً، أما في الباطن فهم مارقون ملاحدة، لا صلة لهم بالإسلام، ولا بالتشيع الذي تخَفَّوا تحت ظله.

والبُهرة طائفة من هؤلاء العُبيدين، هاجرت أصولهم من مصر إلى اليمن، بعد أن أديلت دولتهم على يد صلاح الدين.

ثم انتقلوا إلى الهند في القرن العاشر الهجري، وهم الآن يشكلون أقلية ضئيلة جداً في مدينة بومباي، أما سلطانهم الذي تبوأ هذا المنصب امتداداً بالتوارث، فيعتبرونه إلهاً، من دون الله يتعبَّدونه ويسجدون بين يديه.

وقد نشطت البهرة في أوائل القرن الخامس عشر الهجري ـ الثمانينيات الميلادية ـ حيث زار سلطانهم الإمارات، وافتتحوا لأنفسهم مركزاً في دبي، كما زار سلطانهم مصر، بعد اتفاقية كامب ديفيد، وبنى قبة من الذهب الخالص فوق مقام السيدة زينب في القاهرة، رئاء ومخادعة، وابتغاء مُثالبة، لكن الدولة عليهم.

ثم زار سلطانهم الأردن بعد أن وقع اتفاق السلام مع اليهود، وهو ـ في كلتا الزيارتين ـ يحظى بالاستقبال الرسمي.. وليس اعتباطاً أن تقعا بعد إجراء عملية السلام في كلٍ، مما يربِّتُ على حقيقة تحدرهم على ثَفِنات يهود.

لكن تبقى هذه الطائفة من مخلَّفات التاريخ البائدة، إذ أن مضائق مُعمَّياتها، ومفرزات أكاذيبها، وباطنيتها المتلجلجة في الظلام، يُعفي على وجودها بدثار العفاء، كشأن سائر الفرق الباطنية التي تلج لجة الاندثار، وتتدرج على وطئات الدمار. ولن يقف أمام تأييد الله تعالى لدينه، ولجنده مسافِه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

فهـرس المحتـويـات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
البهرة ليسوا مسلمين	٩
غايته ضرب الإسلام من جذوره	٩
التأويل الحق فرقاً بينه وبين التأويل الباطل	١١
الباطنية أكفر من اليهود والنصارى	١٤
خيوط الباطنية الأولى	١٤
نهلت من المذاهب الأخرى.....	١٥
البهرة بين سائر الفِرق والمذاهب.....	١٦
لم يعد لها وجود الآن:	١٦
أين هي من ثقة السواد الأعظم	١٧
لم يكن مذهبها مستفيضاً	١٧
قد تغيرت بعض السيماء.....	١٨
إلى الفِرَق الأصول	١٨
من هم الشيعة	٢٠

الموضوع	الصفحة

زعموا وجوب التعيين والتنصيص ٢٠
أن الإمامة تنحدر في أولاده ٢٠
العصمة لأئمتهم..... ٢١
علوُّ منزلة الصحابة ٢١
فأحْرِ بهذه الدرجات ٢٢
فِرَق الشيعة ٢٤
أ) الكيسانية ٢٤
ب) الزيدية ٢٥
سبب تسمية الشيعة بالرافضة ٢٥
جـ) الإمامية ٢٥
١ـ الموسوية ٢٦
٢ـ المباركية ٢٦
٣ـ الاثنا عشرية ٢٧
د) الغُلاة ٢٧
هـ) الإسماعيلية..... ٢٨
الإسماعيلية هي السَّبْعية ٢٩
قد اختفى في السرداب ٣٠
نسب باطل لتبرير صلتهم بآل البيت ٣٠
أئمة الاثني عشرية ٣٢
العبيديون ٣٣

الموضوع	الصفحة

دركاتهم في الضلال ٣٧
الدعوة إلى دين المجوس ٣٩
أو إلى الصابئة الحرانية ٣٩
دُهرية زنادقة ٣٩
إنكار الغيبيات ٤٠
من عرف أضاليلهم في معنى العبادة سقطت عنه بزعمهم ٤٠
نواياهم الخبيثة ٤١
وفخر الملك ٤١
وبدر الجمالي ٤١
أصبح الحاكم في دولة المستنصر ٤٢
حفيد المستنصر ٤٢
طلائع بن رُزِّيك ٤٢
نشطت المذاهب المعادية للإسلام ٤٣
من مخازيهم في التعاون مع الصليبيين ٤٤
كيف انتهى أمر العبيديين؟ ٤٥
اقتربت نهايتهم ٤٥
صلاح الدين يستنزف العبيديين ٤٦
البهرة فرقة من العبيديين ٤٧
شأنهم شأن فروع الإسماعيلية الباطنية ٤٨
حركة الباطنية ألوانها ومناهجها وموسوعتها الجامعة ٥٠

الموضوع	الصفحة

أكاذيب وأباطيل ٥٤

صور أخرى من أضاليل فِرَق الباطنية ٥٦

من مسترذلاتهم التي وصفوا بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٥٧

من ورائه انشعبت أصناف الغلاة ٥٨

الباطنية بسائر فرقهم مجتمعون على فكرتي التناسخ والحلول..... ٥٩

مما قاله المغيرة زعيم فرقة المغيرية ٥٩

بعض فرق الباطنية ٦١

١) القرامطة ٦١

٢) الطيارية ٦٢

٣) البيانية ٦٣

قوياً ثابتاً مكيناً ٦٣

خاتمة..... ٦٥

فهرس المحتويات ٦٧

* * *